University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثالث والثلاثون – 10/ ديسمبر (2017)

شعوب البحر .. بين الحلفاء الليبيين والمصادر المصرية

د. الصديق بودوارة المغربي

(أستاذ التاريخ القديم بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية)

شعوب البحر .. بين الحلفاء الليبيين والمصادر المصرية

Abstract :

Since the end of the Bronze Age and the beginning of the Iron Age in the ancient Near East region, during this period the eastern coast of the Mediterranean was politically divided among the great powers and was under its influence.

These forces were in the "Khaitin", "Assyrians" and "Egypt" In vulnerability and vibration, the peoples of the sea began to gradually drop into the region until their danger increased over time.

These peoples were different agenas depicted by the Egyptian sources and written in the documents of Ogarit, although the letters of the hill of Amarna, written on clay tablets, were dated in 1386-1388 BC.

The first documented source referred to these peoples. These invading peoples caused a lot of trouble for the Egyptian state and its owner until they caused the destruction of some of them and destroyed them and caused destruction.

A part of the history of the Libyan tribes has been associated with the history of these peoples. Much has been said about the mystery of the leader of the tribe of Libo, Mery Bin Dadd, leading the great campaign launched by these tribes against Egypt.

It was necessary to shed more light on what the historians wrote about these peoples, And what they have taken from the archaeological evidence and inscriptions, which described their features and their weapons and everything he could describe the features that concern them and concerns them.

Trying to find a common denominator between these peoples and the Libyan tribes at the time seems an unsafe attempt to succeed, but it is still an attempt to get closer to these invading peoples, as well as to know whether the motives of these peoples are equally motivated or different from the motives of the Libyan tribes.

ملخص البحث :

منذ نهايات عصر البرونز وبداية عصر الحديد في منطقة الشرق الأدنى القديم، وخلال هذه الفترة كانت منطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط مقسمة سياسياً بين القوى العظمى وتقع تحت طائلة نفوذها وتمثلت هذه القوى في "الخيتيين" و"الآشوريين" و"مصر" وعندما بدأت هذه القوى في الضعف والاهتزاز بدأت شعوب البحر في التسرب تدريجياً إلى المنطقة حتى استفحل خطرها بمرور الوقت.

وقد كانت هذه الشعوب أجناساً مختلفة صورتها المصادر المصرية وكتبت عنها وثائق أوجاريت، وإن كانت خطابات تل العمارنة ـ التي كتبت على ألواحٍ طينية، وأرخت بالفترة 1386 ـ 1318 ق.م ـ أول مصدر موثق أشار إلى هذه الشعوب.

وقد تسببت هذه الشعوب الغازية في الكثير من المتاعب للدولة المصرية وللممالك التابعة لها حتى أنها تسببت في دمار بعضها واجتاحتها وعاثت فيها بالخراب.

وقد ارتبط جزء من تاريخ القبائل الليبية بتاريخ هذه الشعوب، وقيل الكثير حول لغز تولي زعيم قبيلة "الليبو" مري بن دد" قيادة الحملة الكبيرة التي شنتها هذه القبائل على مصر، فكان لزاماً أن نلقي المزيد من الضوء على ما كتبه المؤرخون عن هذه الشعوب، وعلى ما نقلوه من الشواهد الأثرية والنقوش التي وصفت ملامحهم وباسهم وأسلحتهم وكل ما أمكنها وصفه من المعالم التي تخصهم وتتعلق بهم.

إن محاولة إيجاد قاسم مشترك بين هذه الشعوب وبين القبائل الليبية آنذاك تبدو محاولة غير مضمونة النجاح، لكنها تظل محاولة للتقرب من هذه الشعوب الغازية، وكذلك معرفة ما إذا كانت دوافع هذه الشعوب للغزو هي نفس دوافع القبائل الليبية أم أنها تختلف عنها .

مقدمة :

لقد قدمت لنا المصادر المصرية وكذلك النقوش الخيتية خدمة كبيرة فيما يتعلق بتوفير كمٍ هائل من المعلومات التاريخية عن شعوب البحر.

وهذه الشعوب كانت مجموعات من شعوب البحر الأبيض المتوسط التي أبحرت من المنطقة الإيجية حيث البلقان وآسيا الصغرى إلى جنوب غرب آسيا الصغرى وشمال شرق الساحل الأفريقي وهذا ما جعل المصريين يطلقون عليهم شعوب البحر.

وقد سجلت لنا المصادر المصرية أسماء الكثير من هذه الشعوب، وذكرت أخبار تحالفهم مع الليبيين في إحدى أصعب الفترات التي مرت بالتاريخ المصري القديم.

وبما أننا نملك الكثير من المعلومات "السطحية" عن القبائل الليبية، فقد حرص الباحث في هذه الورقة أن يعطي مساحةً أكبر للحديث عن هذه الشعوب، وان يحاول في نهاية بحثه أن يجيب على بعض علامات الاستفهام أو يستخلص بعض الملاحظات التي ربما تسمح لنا بإصدار إحكام أولية على طبيعة العلاقة بين هذه الشعوب وبين الدولة المصرية القديمة في مراحلها المتعددة، وكذلك عن التشابه بينها وبين القبائل الليبية في الأهداف والغايات.

البداية :

إنها "نقوش الكرنك الكبيرة"،* وهي تصف بالكثير من الدقة حروب "مرنبتاح"* مع "الليبو"* وحلفائهم من شعوب البحر، وقبل أن نبدأ في تحليل ما ورد في هذه النقوش سوف نقرأها بالكثير من الحرص والتأمل أيضاً :

((إن رئيس "لوبيا" الخاسيء "مري بن دد"، قد انقض على إقليم "تحنو" برماته،"شرداناً"و"شكلش"و"أقايواش"و"لوكا"و"تورشا"، آخذاً كل محارب حسن، وكل رجل قتال في بلاده وقد أحضر زوجه وأولاده، . قواد المعسكر، وقد وصل إلى الحدود الغربية في حقول "بر ـ إير".)) (1)

إن هذا الجزء من النقش يتكلم عن تحالف منظم بين مجموعة من الأجناس الغازية كان يقوده زعيم قبيلة "الليبو"، والنقش هنا يضع البداية الأولى للحديث عن حقيقة تاريخية مثيرة للجدل، تتعلق بتحالف الليبيين القدماء مع مجموعة وافدة كانت تُسمى بشعوب البحر، ويذكر لنا النقش أسماء هذه الشعوب الغازية التي أسلمت قيادها لزعيم ليبي كان يُدعى "مري بن دد"، فأين هي الحقيقة التاريخية من هذا النقش؟ وهل أسماء الأجناس الواردة فيه تمثل كل أسماء الغزاة الغرباء أم هناك المزيد غيرهم؟ وأين هو الواقع من المبالغة في هذا الحدث التاريخي الموغل في القدم؟ وهل كانت دوافع "الليبو" هي نفس دوافع هذه الأجناس المتعددة أم أن التحالف كان مؤقتاً فرضته ظروف معينة لم تكن لتتكرر بعد ذلك؟

ويبدو أن هذه الغزوة بالذات كانت ذات وقع شديد على جنود الجيش المصري، لأننا نجد الفرعون "مرنبتاح" يتصدى كأي قائد محنك ليشد من أزر جنوده ويرفع من روحهم المعنوية :

((تأمل، لقد كان جلالته ثائرَ كالأسد على تقريرهم، وجمع رجال بلاطه، وقال لهم : اسمعوا أمر سيدكم، إني أعطي ... كما ستفعلون، قائلاً : إني أنا الحاكم الذي يرعاكم، وإني اصرف وقتي في البحث عن ... ، أنتم كالواحد الذي يحفظ أولاده أحياء، في حين أنكم تنزعجون كالطيور، وأنتم لاتعلمون فضل ما يفعله، هل من أحدٍ مجيب في ....، هل ستخرب البلاد ؟)) (2)

إن هذا النص ــ رغم الفقرات الضائعة منه ــ يمعن في وصف ذلك الوقت الحرج الذي مرت به البلاد، لكننا سنركز هنا على أن كل هذه الفوضى كانت من صنع غزو قامت به شعوب متحالفة مع "الليبو"، وأن هذا الغزو كان كبيراً بحيث أنه استلزم تدخل الفرعون شخصياً ليشد من أزر جنوده، فهل كان تنظيم هذه الغزوة محكماً إلى هذا الحد؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه تحالفاً فوضوياً بدوره بين جماعات لا تربط بينها سوى مصلحة آنية عاجلة

؟ وهل كان هذا هو الظهور الأول لهذه الجماعات أم أنها ظهرت قبل ذلك على مسرح أحداث الدولة المصرية القديمة ؟

فترة ما قبل عهد "مرنبتاح" :

لقد قدمت لنا "خطابات تل العمارنة"* الدلائل الأولى على تسرب هؤلاء الأقوام إلى الشرق الأدنى منذ منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة، ففي خطاب العمارنة رقم (AE 81) والوارد من حاكم مدينة "جبيل" الفينيقية "ريب ـ آدي"، إلى الملك المصري "أمنحتب الثالث" نجد ذكر عبارة تقول :

((رجل من الشردان)) (3)

ورغم أن هذه الرسالة لا تحمل نبأ حرب أو اشتباك، إلا أنها تعتبر إشارة على بدء تسرب أقوام من خارج المنطقة، ويشير خطاب آخر هو المرقم بـ (AE 38)، وهو خطاب وارد من حاكم "آلاشيا" وهي قبرص الحالية، ويشير إلى جماعةٍ يسميها "اللوكي"، باعتبارهم قراصنة يجوبون البحر المتوسط، ويقول إن مركزهم في جنوب غرب آسيا الصغرى.

ويبدو أن الأمور لم تكن قد تطورت إلى الأسوأ آنذاك، لأن الخطاب لم يتجاوز لهجة التحذير التي اتهم بها الفرعون المصري سكان قبرص وهم "الآلاشيين" بأنهم قد تحالفوا مع هؤلاء "الآلاكيين" وأغاروا على مناطق نفوذه، ومن المهم هنا أن نشير إلى ما أورده ملك قبرص بأنه عاماً بعد عام فقد الكثير من البلدان والقرى لصالح رجال "اللوكي"(4).

ويبدو أن هذه الشعوب قد بدأت تسبب المشاكل للحكام التابعين لمصر في بلاد الشام وجزر البحر المتوسط في الفترة الأخيرة من عصر البرونز مما كان له أثر كبير في إضعاف النفوذ المصري في تلك الأنحاء، وقد اشتركت بعض هؤلاء الحكام في الحملات التي شنها فراعنة مصر ضد شعوب البحر مثل "أوجاريت" التي نهب غزاة البحر ضواحيها وعاثوا فيها خراباً وإن لم يثبت أنهم تكمنوا من تدميرها أو الاستيلاء عليها.(5) ، وإن كان لهذا ما يناقضه من نصوص كتابية سوف يتطرق إليها الباحث في ماسيلي من الهوامش.

وإذا كانت هذه هي البدايات الأولى للخطر القادم من وراء البحر، فإن اندلاع الخطر كان أكثر وضوحاً في عهد "رمسيس الثاني"* الذي تخبرنا "لوحة تانيس" عن علامة واضحة تبين مدى حالة التوتر التي بدأت تسود نتيجة لظهور هذا الخطر على أبواب مصر مباشرةً :

((الشردان المتمردة قلوبهم ..... الذين جاءوا ..... في مراكب من وسط البحر .)) (6)

وعلى الرغم من أن "لوحة تانيس" غير مؤرخة، فإن هناك من يرى أن هذه المعركة التي أشارت إليها ربما تكون قد وقعت خلال أحد الأعوام الثلاثة الأولى من عهد "رمسيس الثاني" وسبب هذا الاعتقاد يكمن في ذلك النقش الصخرى الذي عثر عليه بالقرب من أسوان، والذي أُرخ بالعام الثاني من حكم هذا الملك، والنقش حافل كالعادة بالمديح للفرعون، لكنه يحتوي على جملةٍ تلفت النظر تقول :

((وقد أهلك محاربي الأخضر العظيم، ونامت الدلتا في سلام.))

فإذا تمت المقارنة بين هذا النقش، وبين ما ورد في لوحة "تانيس"، يمكن أن نستنتج أن الدلتا تعرضت لأول موجة من موجات شعوب البحر في بداية عهد "رمسيس الثاني"، وأنه تمكن من إيقاف خطرهم ولو إلى حين .(7)

وهكذا نجد أن النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م (1232 ـ 1190 ق.م) بدأت في منطقة البحر الأسود وبلاد اليونان تحركات كبيرة لشعوبٍ وافدة أنتجت هجرات ضخمة تدفقت على آسيا الصغرى وجزر بحر "إيجه" و"مصر"، وتصدى لهم هذا الفرعون وسجل انتصاره على لوحة "تانيس" على الليبيين التحنو وحلفائهم من "الشردان"، ويتضمن النص إشارةً إلى "سفن الشردان" مما يوحي بأنه خاض معهم معركة بحرية بالإضافة إلى الحرب البرية أيضاً .(8)

وتجدر الإشارة إلى أن "ورقة أنستاسي الأولى" تعد الوثيقة الأولى التي أثبتت اشتراك الليبيين في الجيش المصري، إذ أنها تقول إنه كان يتألف من (5000) آلاف مقاتل من بينهم (100) من المشواش و(1600) من الكهك.(9)

فترة عهد الملك "مرنبتاح" :

في هذه الفترة تعرضت مصر في (1232 ق.م) إلى موجة جديدة من موجات هذه الشعوب، وهذه المرة تحالفت معها قبائل ليبية بشكلٍ صريحٍ ومباشر، وهي قبائل "الليبو"و"المشواش"و"القهق"، وضمت موجة شعوب البحر أسماء " التورشا"و"اللوكا"و"الشردان"و"الشكلش"، وفي العام الخامس من حكمه تمكن "مرنبتاح" من الانتصار على هذا التحالف وسجل انتصاره على الآثار الآتية :

1. نص طويل على باطن الجدار الشرقي لفناء "الخبيئة" لمعبد "آمون رع" بالكرنك، يعتبر هو المصدر الأساسي عن هذه المعركة رغم ضياع الأسطر العليا التي تحتوي على تاريخ هذا النص.(10)

وقد قام "بريستد" بترجمة هذا النص مؤكداً على وجود القبائل الخمس التي سبق ذكرها أعلاه من شعوب البحر، مما جعل بعض المؤرخين يعتقدون أنها كانت تمثل عماد القبائل الغازية.(11)

2. جزء من عامود من الجرانيت محفوظ بالمتحف المصري* نقشت عليه العبارات التالية :

((السنة الخامسة، الشهر الثاني، الفصل الثالث"شمو"، جاء من يخبر جلالته بأن رئيس الليبو الخاسيء قد غزا مع ..... رجالاً ونساءً من الشكلش.)) *

3. "أنشودة النصر" * التي افتخر كاتبها بالنصر الذي أحرزه "مرنبتاح" على اللوبيين في السنة الخمسة من حكمه، وقدمت معلومات مهمة رغم نصها الأدبي عن هذه الحرب.(12)

فترة عهد الملك "رمسيس الثالث" :

1. الحرب الليبية الأولى : وقعت هذه الحرب في السنة الخامسة من حكمه، وقد صورت مناظر هذه الحرب على الجانب الخارجي للجزء الشمالي من الجدار الخلفي وامتدت إلى الجزء الغربي من الحائط الشمالي بمعبد مدينة "هابو"*، وكذلك في السطر الأسفل للواجهة الغربية للجناح الجنوبي للصرح الثاني وامتدت للجدار الجنوبي للفناء الثاني من نفس المعبد. (13)

((ارتجفت البلاد الشمالية في أوصالها، حتى "البلست" (بو–را–سا–تى)، و"الثكر" ("ثا–ن–كا–را)الذين دمروا أرضهم .أرواحهم جاءت من الطرف الأخير، كانوا محاربين على الأرض، وأيضا في البحر .أولئك الذين جاءوا على الأرض قتلوا وشردوا، أولئك الذين دخلوا في مصبات النهر كانوا مثل الطير البرى، الذى يتسلل إلى الشبكة .... وقد سيق زعماؤهم وقتلوا وألقى بهم وأسروا" ....)) (14)

ويلاحظ على المعلومات الواردة بخصوص هذه الحرب أن نسبة المشاركة العظمى فيها كانت لليبيين وليست لشعوب البحر، الذين ستكون مشاركتهم بفعالية أكبر في العام الثامن من حكم رمسيس.

2. معركة العام الثامن : وقعت في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون، وقد نقشت أهم أحداثها عي نص طويل غطى كل الواجهة الشرقية للجناح الشمالي للصرح الثاني بمعبد مدينة "هابو"، ويهمنا في هذا النص ذلك الجزء الذي يتكلم عن تجمع شعوب البحر واستعدادهم للعبور إلى مصر :

((وأتوا نحو مصر، ولكن اللهب كان مجهزاً أمامهم. ولقد كان حلفهم مجهزاً من أقوام "بلست" (بو-را-سا-ت)، و"ثكر"(ثا-ن-كا-را)، و"شكلش"(شا-ن-رو-شا)، و"دانون"(دا-ى-ن-يو)و"وشش"(وا-شا-شا) حتى امتداد الأرض.)) (15)

ولم تكن المواجهة مقتصرةً على البر فقط، بل أوضحت النقوش على الجانب الخارجي من الجدار الشمالي بالفناء الثاني مشاهداً لخمس سفن حربية لشعوب البحر تحمل "البلست"و"الشردان"، وهي تتعرض لهجوم خاطف من أربع سفن حربية مصرية (شكل1). وتبدو المعركة محتدمة وقوية بين الطرفين (16)

ويبدو أن المصريين قد استعانوا بهؤلاء الغزاة بعد إلحاق الهزيمة بهم كمرتزقة في الجيش، أو كعبيدٍ يخدمون الأرض ويفلحونها ، كما نفهم من "بردية هاريس" التي تقول على لسان الفرعون المصري "رمسيس الثالث" :

((لقد وسعت كل حدود مصر، وهزمت أولئك الذين غزوها من أراضيهم، وذبحت "الدانون" (الذين)...في جزرهم، أما "الثكر" و"البلست" (يعني الفلسطينيين) فقد صاروا كأن لم يكن، كالرماد، وجعلت "شردانة" و"مشوش البحر" كأن لم يكونوا، وأخذوا كأسرى في نفس الوقت، ثم أحضروا وكان عددهم كالرمال على الشط، ثم أسكنتهم في حصونٍ محمية باسمي.)) (17)

وهكذا فإن هذه الشعوب التي استشرى خطرها في حوض البحر المتوسط، وهددت استقرار الكثير من الممالك والدول* ــ كما يظهر من الوثائق الكتابية لحمورابي"* ملك "أوجاريت"* ــ وكانت سبباً في أن تعيش "مصر" فترةً من أحلك الفترات وأكثرها صعوبة، كونها لم تكن مجرد جيش زحف ليقاتل، لكنها كانت هجرة كبيرة تسربت من آسيا الصغرى ومن شمال البحر المتوسط، وكان هدفها الاستيلاء على مصر خصوصاً وبلاد الشرق عامةً.

والطريف أن هذه الشعوب كانت أول اختلاط لمصر القديمة بالأوربيين، بحكم أنها جاءت من جزر البحر مثل "صقلية"و"سردينيا" وما تلاها من الأراضي الأوربية الأخرى.

وقد استعانت هذه الشعوب في غزواتها بقبائل "الليبو"و"المشواش" التي تولت قيادة هذا الزحف نحو الدلتا قبل أن يتصدى لهم "رمسيس الثالث" ويهزمهم، ثم يتصدى لغيرهم الذين كانوا يتأهبون لغزو مصر من ناحية فلسطين وعبر الدخول بحراً بسفنهم ذات المقدمات المدببة، إلا أنه تمكن أيضاً من هزيمتهم عند دمياط في معارك عنيفة سجلتها جدران معبد "هابو".(18)

وإذا كنا نعرف الكثير عن القبائل الليبية التي تحالفت مع شعوب البحر، فإن علينا أن نعرف أكثر عن هذه الشعوب، وكيف كانت في ملامحها وأزيائها وبعض عاداتها، لعلنا نصل إلى معرفة الرابط الخفي الذي جمعها

ذات يومٍ في موقفٍ واحد ومعركةٍ واحدة وتحالف واحد مع قبائل ليبية قادت ذات يوم ذلك التحالف الذي خلدته المصادر المصرية في نقوشها ورسومها وتاريخها العريق.

وسوف نختصر هذه الشعوب الكثيرة في الأسماء الأكثر تداولاً في المصادر، وهي "التورشا"و"الشردن"و"البلست"و"الدانيين".

المواصفات الشكلية لشعوب البحر حسب المصادر المصرية :

1. التورشا :

هم أقل هذه الشعوب وضوحاً في ملامحهم وأزيائهم حسب المصادر المتبقية، وقد ربط البعض بينهم وبين الأتروسكان، ويمكن تحديد أوصافهم بملامح كبيرة للوجه، وحواجب صغيرة وكثيفة متدلية على العين، مع لحي مدببة، وكانوا يحلقون شعورهم ويضعون على الجبين عصبة عريضة يقل سمكها حول الأذنين، وقد ارتدوا كغيرهم من شعوب البحر قمصاناً لها فتحة دائرية عند الرقبة والذراع وحتى الكوع، وشدوا على مآزرهم أحزمة رفيعة، ولم تظهر الرسومات ارتدائهم أي نوعٍ من الأحذية. (1 شكل2)

2. الشردن :

هم أول من عرفهم المصريون من شعوب البحر، وكانت ملابسهم تشبه ملابس "التورشا" كما في نقوش "هابو"، وأنف "الشردن" رفيع ومعقوف وشفاهه مفلطحة، ولا تتدلى الحواجب على العيون كما كان الحال عند "التورشا"، وظهروا في النقوش باللحى، لكنها كانت مختلفة عن لحى "التورشا"، كما ظهروا في نقوش "هابو" بالقلنسوة، وهي تشبه الخوذ اتي لها قرنان مقوسان، وتتدلى هذه القلنسوة على الرأس للأسفل، وتشكل غطاءً للأذن، ويمكن أن نرى هذه القلنسوة على الحرس الخاص للفرعون "رمسيس الثالث" والذين كانوا من "الشردن" وكذلك الذين شاركوا في معركة "قادش" في فترة حكم "رمسيس الثاني" بداية القرن الثالث عشر، ويبدو أن "الشردن" الذين خدموا في الجيش المصري ارتدوا الحزام المصري لكنهم حافظوا على القلنسوة التي تمثل رمزاً يجسد هويتهم (19).

3. الشكلش :

ذكرتهم نصوص معبد "الكرنك"و"لوحة أتريب"و"عامود المتحف المصري"، من عهد الملك "مرنبتاح"، وكذلك في نصوص ونقوش معبد "هابو" في عهد الملك "رمسيس الثالث"، كما أشارت إليهم النصوص الكتابية

الأوجارتية، وكانوا يتميزون بلباس الرأس المجوف من الأعلى، ويرتدون ميدالية ذات حلقة معدنية كبيرة على صدورهم، وظهروا في الحروب وهم يحملون سهمين ودرع مستدير .(20)

4. البلست :

ذكروا في المصادر المصرية خلال عهد الأسرة العشرين، وذكروا منذ السنوات الأولى لعهد "رمسيس الثاني"، وانتشروا على شواطيء "كنعان" و"فينيقيا" بعد معركتهم مع الجيش المصري، وسيطروا على مدن الساحل الفلسطيني، وتوجه قسم منهم إلى جر بحر إيجه، وقد كانوا من ضمن سكان شبه جزيرة البلقان قبل اليونانيين، وقد صورتهم نقوش "هابو" وهم يتسلحون بالرماح والدروع المستطيلة والسيوف الطويلة العريضة، ويضعون على رؤوسهم أغطية من الريش.(21)

5. الدانيون :

كان أول ذكرٍ لهم في رسائل "تل العمارنة" من خلال الخطاب رقم (AE 151) الوارد من "أبيميلكي" حاكم مدينة "صور"، إلى الملك "امنحتب الثالث" يخبره فيه أن "ملك الدانونا قد مات"(22)، ويعتقد أنهم كانوا قبائل بدوية تسكن الصحراء تعتمد حياتها على التنقل والترحال.

الخاتمة :

من كل سبق عرضه، يمكن أن نعتبر أن هناك احتمال بأن تحالف "الليبو" مع شعوب البحر لم يكن هو السبب الذي جاء بهذه الشعوب إلى المنطقة، فقد أثبتت الشواهد أن وجودهم سابق لموقعة "مري بت دد" الشهيرة التي وقعت في عهد "مرنبتاح"، فهؤلاء الأقوام كانوا طلائع هجرات ضخمة طالما حدثنا عنها التاريخ، وطالما جابت قارات العالم القديم وغيرت من خارطة الأحداث وأسقطت إمبراطوريات وأقامت مكانها أخرى .

ويبدو أن تحالف الليبيين مع هذه الشعوب الوافدة لم يكن نتيجة لعلاقات ثقافية سابقة، أو تواصل اجتماعي، لكنه كان محصلة لظروف تاريخية متشابهة تمثلت في حركة انزياحٍ كبيرة لمجاميع بشرية بحثاً عن مكانٍ جديد أو هرباً من مناطق نفوذ مسيطرة، أو نتيجة لانقسام اجتماعي ربما فرضته ظروف زيادة سكانية أو حتمية انتقال من جغرافيا إلى أخرى.

ومن ملاحظة الأزياء والملامح والصفات، لا نرى اختلافاً كبيراً بين الليبيين وهذه الأقوام، فالرمز الذي يشير إلى الهوية موجود عند أغلبهم، كما هو الحال في الريشة عند الليبيين، والقلنسوة ذات القرنين عند الشردان، وأغطية الريش عند "البلست".

ويبدو أن المعلومات عن شعوب البحر ربما تقدم المزيد من الإجابات على بعض علامات الاستفهام الواردة ضمن سياق الأحداث التاريخية، مثل تلك السيوف الطويلة التي غنمها الجيش المصري من قبيلة "المشواش"، وهي تماثل السيوف الطويلة التي كان "البلست" يتسلحون بها في غزواتهم.

إن كثرة تصوير المشاهد التي تمثل شعوب البحر على الشواهد الأثرية تفرض علينا أن نأخذ جانب الحذر بهذا الخصوص، إذ ربما يحدث خلط في التصوير بين هذه الشعوب وبين بعض أجناس البدو مثلاً، أو بين هذه الشعوب كغزاة وبين نفس الشعوب كمرتزقة يخدمون في صفوف الجيش.

الأشكال :

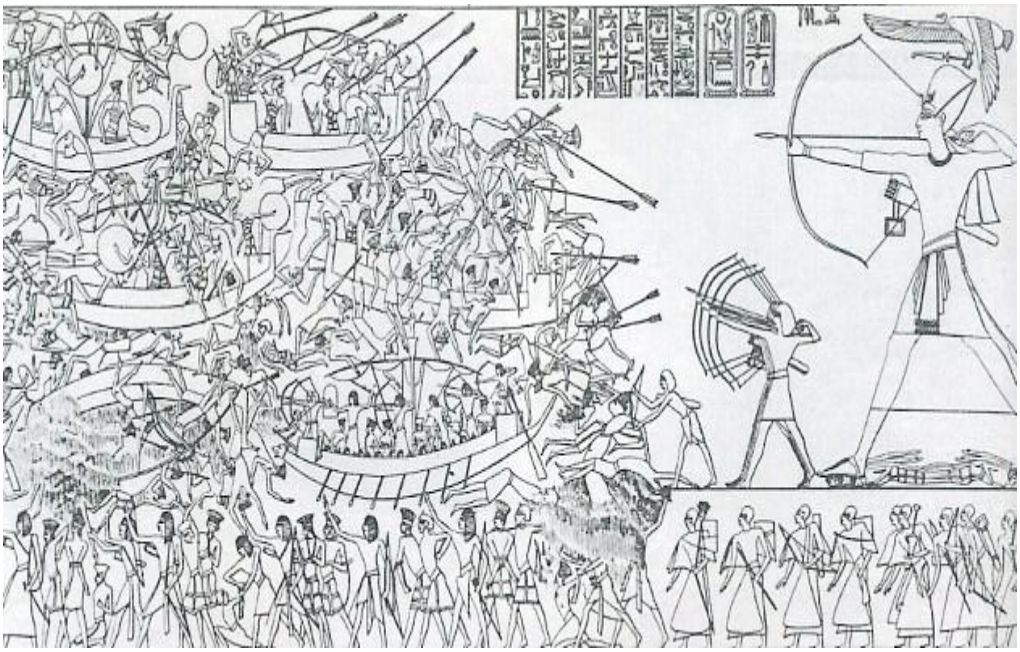

شكل (1)

معركة العام الثامن البحرية المصورة على الجانب الخارجي من الجدار الشمالي بالفناء الثاني لمعبد "هابو"، ويبدو "رمسيس الثالث" في أقصى اليمين يقود هذه المعركة وسط جنوده، فيما تظهر سفن الأسطول المصري تهاجم سفن شعوب البحر .للمزيد :

Nelson, H.H., " The Naval Battle Pictured at Medinet Habu ", JNES, 2, 1943, pp:40-55.

شكل (2)

جندي من "الشردان" يقوم بقطع يد جندي حيثي أثناء معركة "قادش"، حيث حارب "الشردان" كمرتزقة في جيش "رمسيس الثالث".

المصدر للمزيد :

Kitchen, K.A., Ramesside Inscriptions Historical and Biographical, 11, Oxford, 1979, p.11.6-10;

شكل (3)

جندي من "الشكلش" على نقوش معبد "هابو" بطيبة الغربية، وتظهر الخوذة ذات التجويف وكذلك الميدالية ذات الحلقة المعدنية التي ميزتهم عن غيرهم. للمزيد :

سليمان حامد الحويلي، مرجع سابق، ص207.

شكل (4)

نقش على جدار في معبد "هابو" يصور "الشردان" بالقلنسوة ذات القرنين التي كانت تميزهم عن غيرهم من شعوب البحر. للمزيد :

سليمان حامد الحويلي، مرجع سابق، ص205.

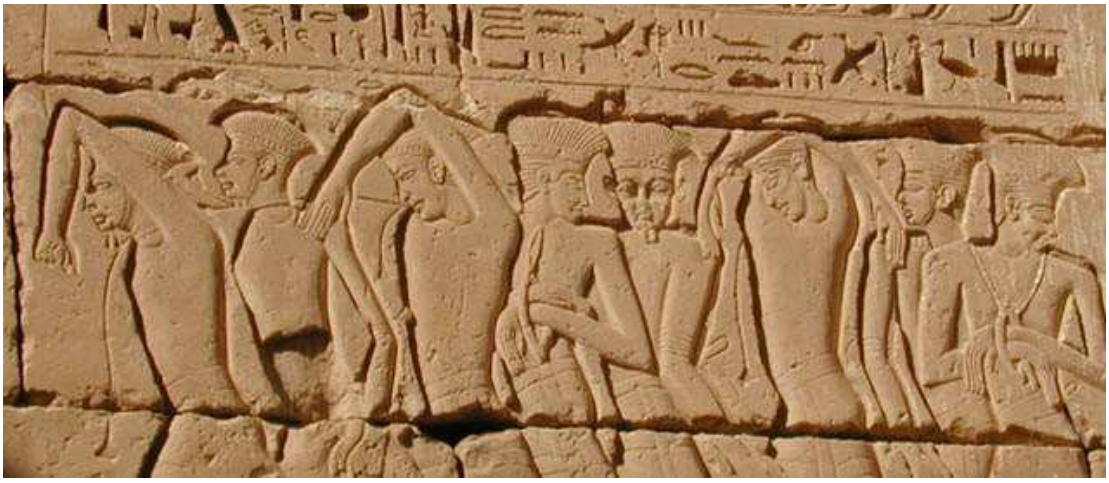

شكل (5)

نقش على جدار في معبد "هابو" يمثل الأسرى من "البلست"، وقد نقشت فوق هذا الصف عبارة تقول : ((يقول البلست المهزومين : أعطنا النفس لفتحات أنوفنا أيها الملك، ابن آمون.)) للمزيد :

سليمان حامد الحويلي، مرجع سابق، ص214، جيمس هنري بريستد، مرجع سابق،ص65.

شكل (6)

نقش على جدار في معبد "هابو" يصور صفاً آخر من الأسرى وهم "الدانيون" هذه المرة، وفوقهم نُقشت عبارة :

((قال الدانيون المهزومون : النفس ، النفس، أيها الحاكم الطيب، العظيم في قوة مثل "مونتو" المقيم في "طيبة".)) للمزيد:

جيمس هنري بريستد، مرجع سابق،ص65.

الهوامش :

- **نقوش الكرنك الكبيرة** : من أهم الوثائق المصرية وأكثرها طولاً، وقد حُفظت على جدران معبد "الكرنك" الشهير ـ وهو بناء قديم لا يُعرف على وجه التحديد من بدأ في تأسيسه، لكن أقدم اسم وجد منقوشاً على جدرانه هو اسم الملك "أوسرستن"، أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهناك احتمال بأن يكون هو الذي بدأ بناء هيكل "الكرنك"، أو هيكل "إبت" كما كان قدماء المصريين يسمونه ـ وقد كانت هذه الوثيقة في الأصل تحتوي على "80" سطراً تم نقشها على الجانب الداخلي من الجدار الشرقي من جهة الغرب، والذي يربط معبد "الكرنك" الأصلي بالبوابة السابعة ، مع ملاحظة أن نهايات الأسطر العليا من هذا المتن قد فُقدت بما يُقدر بنحو خمس كلمات في آخر كل سطر ، وقد كان "دميخن" أول من نشر هذا المتن بأكمله، ثم قام كل من "مريت" ثم "دي روجيه" بنشره فيما بعد، ثم كان دور "بريستد" لينقل هذا المتن بشكلٍ أفضل ثم ينشر ترجمة حرفية له ، وبعد ذلك تمكن "لجران" من العثور على بعض القطع المفقودة ، أما النسخة الأفضل حتى الآن فهي نسخة "مولر"،أما الترجمة الواردة هنا فهي تلك التي أوردها "بريستد" . للمزيد:

سليم حسن، موسوعة مصر القديمة،ج7،منشورات مكتبة الأسرة،القاهرة،2000،ص84.،أسامة حسن، مصر الفرعونية، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة،1998، ص37.

Ancient Records of Egypt , vol.III, Chicaggo,1906. Breasted,J.H,

- **مرنبتاح** : يعتبر ـ بالإضافة إلى والده ـ من أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة (1350 ـ 1205 ق.م)، كان ترتيبه الثالث عشر بين أخوته الذكور، وأمه كانت الملكة "أست نفرت"، وقد اختاره والده ولياً للعهد بعد وفاة شقيقه "خعمو واست" الذي ظل ولياً للعهد لفترةٍ طويلة، وقد تولى الحكم بعد وفاة أبيه "رعمسيس الثاني" ، لكنه كان كبيراً في السن متجاوزاً مرحلة الشباب، ورغم سنه الكبيرة فقد تمكن من إخماد تمرد فلسطين وسوريا، وصد هجمات الليبو التي تحالفوا فيها مع شعوب البحر. للمزيد :

أسامة حسن، مرجع سابق،ص43.

- **الليبو** : عُرفوا أيضاً باسم "الريبو"، وكانت مواقعهم على مسافة بعيدةً نسبياً من حدود الدولة المصرية، وتمتد في الجبل الأخضر وبرقة الليبية حالياً حتى الواحات جنوباً، وتنتشر إحدى عشائرها في واحة "سيوة"، وإن كان البعض يرون أن مضاربها كانت تمتد غرباً حتى جبال أطلس، وأن "الليبو" هم الأجداد المباشرين للنوميديين الذين عاصروا الاحتلال الروماني بعد ذلك. للمزيد :

مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، السنة الجامعية 2009 ـ 2010، الجزائر،جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ص105..

(2) سليم حسن، مرجع سابق،ج7،ص86.

تل العمارنة : اشتق اسمه من قرية مجاورة كانت تدعى "قرية التل"، ويُستعمل اسم "تل العمارنة" في الكتب المتخصصة للدلالة على مدينة "أخناتون" القديمة، التي اقامها الملك "أخناتون" على مقربة من مدينة "ملوى" وقد قرر "أخناتون" بناء مدينته الجديدة لاعتبارات تتعلق بالديانة الجديدة التي شرع في الدعاية لها مروجاً لعبادة "آتون" الإله العالمي الذي أراده بديلاً عن "آمون".وقد نُقشت رسائل تل العمارنة على ألواحٍ طينية أرخت بالفترة (1386ـ 1318 ق.م) وتمثل أحد أهم مصادر التاريخ المصري القديم.للمزيد :

سليم حسن، مرجع سابق،ج5،ص272.

(3) Moran,W.,The Amarna Letters,Maryland,Johns Hopkins,Unvi.press,1992,EA81,PP150-151,Pl,XXXIX.

(4) سليمان حامد الحويلي، "شعوب البحر في المصادر النصية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب،العدد 16،السنة ص192.

(5) هديب حياوي غزالة ،"أوغاريت مركز تجارة العالم القديم،مجلة جامعة بابل،العلوم الإنسانية،المجلد18،العدد4،2010،ص995.

(6) Yoyott,J.,'Les Steles de Ramses,ii,a,Tanis,Premiere partie,Kemi,10,1949,pp65-75.

(7) Barnett,R.D.,'The Sea Proles',in The Cambridge,Ancient History,Vol.11,Part2,1975,pp59-63.

(8) مصطفى كمال عبد العليم، تاريخ ليبيا القديم،منشورات المطبعة الأهلية، بنغازي،1966. ص ص 24.25.

(9) المرجع نفسه،ص25.

(10) Manassa, C., The Great Karnak Inscriptions of Merneptah: Grand Strategy in the 13th Century BC., New Haven, 2003.

(11) Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt: The Ninteenth Dynasty, vol. 3, Chicago: Univ. of Illinois Press, 1906, 2001, pp. 240–252.

- تمكن "كليني"و"كونور" من تكملة هذا النص على النحو التالي : ((وقد غزا مع أرض ليبيا رجالاً ونساءً من الشكلش، وكل البلاد الأجنبية معه للاعتداء على حدود مصر)) للمزيد :

  Cline, E.H., " The Mystery of The Sea Peoples ", in Mysterious Lands, ēds., D.O`Connor and S. Quirke, London: UCL Press, 2003, p.135.

- وهو الذي يعرف بعمود القاهرة، وهو جزء من عمود من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف القاهرة،وقد اكتشفه عالم الآثار "بروكش"عندما كانت الأعمال جارية في بناء ساحة وزارة المعارف في القاهرة، وقد تم نقله بعد ذلك إلى القاهرة، ويحتوي هذا العمود في الجزء الأعلى منه على منظرٍ يصور "مرنبتاح" وهو يستلم سيفاً من إله يقول له : إني أجعلك تقطع رؤوس "لوبيا" الذين قد صددت غزوهم ،وفي أسفل العمود نجد العبارة التي سبق ذكرها في المتن. للمزيد :

  سليم حسن،مصر الفرعونية، ج7، مرجع سابق،،ص92.

- **أنشودة النصر** : عثر عليها عالم الآثار "بتري" عام 1896 م. وتوجد الآن في متحف القاهرة،وتُسمى أيضاً "لوحة إسرائيل" لأنها أول متن مصري يذكر "بني اسرائيل" كأحد القبائل أو الأقاليم التي أخضعها "مرنبتاح"،إذ جاء في المتن :

  ((ولم يعد يرفع واحد من بين قبائل البدو تسعة الأقواس رأسه، "التحنو" قد خربت .

  وبلاد "خاتي" أصبحت مسالمة .

  و"كنعان" أسرت مع كل خبيث .

  وأزيلت "عسقلان".

  و"جيزر" قبض عليها.

  و"بنوم" أصبحت لاشيء.

  و"إسرائيل" خربت وليس بها بذر.

و"خارو" اصبحت أرملة لمصر.

وكل الأراضي قد وجدت السلم.))

وقد نُقشت على حجر من الجرانيت الأسود، وهي في مجملها نص يفخر فيه صاحبه بالانتصار على قبيلة "الليبو" في السنة الخامسة من حكم هذا الملك. للمزيد :

سليم حسن، ج7،مرجع سابق،ص96، الأدب المصري القديم،ج2،ص ص 214-219.

- **معبد هابو** : في مدينة "هابو" أنجز "تحتمس الثالث" بناء هذا المعبد الذي كان قد البناء فيه قد بدأ منذ عهد جده، ثم واصل بناءه وزخرفته والده رفقة "حتشبسوت"، ولم يكن المعبد في بدايته إلا مبنى صغير ، وفي نهاية الأسرة الثامنة عشرة أصلح الفرعون "حور محب" من شأنه، وكذلك "سيتي الأول"، ثم "رمسيس الثاني عشر"، ثم الفرعون "بينوزم" من الأسرة الواحدة والعشرين، وذلك حسب ما ذكره كل منهم على الجدار الأمامي للمعبد.

وقد كان هذا المعبد محظوظاً بنيله عناية كبيرة من الملوك المتأخرين الذين جاءوا بعد ذلك ، إذ قام "طهراقا" من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بإضافة ردهة أمامية وبوابة ، وفي عهد الأسرة الثلاثين أضيفت ردهة أخرى أمام سابقتها، ثم جاء "بطليموس العاشر" وأضاف بوابة أمام هذه الردهة الأخيرة، وأخيراً أضاف الإمبراطور "أنطونيوس" ردهة أخرى أمام سابقاتها. للمزيد :

سليم حسن، مرجع سابق،ج4،ص475.

(13) سليمان حامد الحويلي، مرجع سابق، ص194.

(14) جيمس بريستد، سجلات تاريخية من مصر القديمة، م4، الأسرات من 20-26، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، ط1، 2009، ص ص 52-53.

(15) Peczynski, Sh., op. cit., p. 20; Cline and O`Connor, op. cit., p. 136.

(16) Nelson, H.H., " The Naval Battle Pictured at Medinet Habu ", JNES, 2, 1943, pp:40-55.

(17) Sandars, N.K., The Sea Peopls: The Warrriors of The Ancient Mediterranean 1250-1150 BC., London, 1987, p. 133.

- لم يقتصر خطر هذه الشعوب الغازية على مصر فقط، إذ أن النصوص الكتابية لأوجاريت الفينيقية شمالي سورية تكشف عن خطاب من ملك قبرص إلى "حمورابي" ملك أوجاريت يحذره فيها من قدوم سفن الأعداء من شعوب البحر ، كما أن رسالة أخرى كانت رداً على هذه الرسالة ،وكانت هذه المرة من "حمورابي" يخبر فيها ملك قبرص بأن سفن شعوب البحر قد وصلت بالفعل، وأن المدينة قد هوجمت، ودُمرت واشتعلت فيها النيران. للمزيد: Peczynski, Sh., op. cit., p.24.

- **حمورابي** : هو آخر ملوك "أوجاريت" الذين ذكرتهم المصادر الكتابية الأوجارتية، وقد عاصر أيضاً "شوبيلوليوما" آخر ملك للحيثيين، وذلك حوالي 1200 ق.م، كما عاصر "رمسيس الثالث" في أولى سنوات حكمه، ويُعتقد أن حكمه قد انتهى بدمار محتمل لأوجاريت بعد انهيار المملكة الحيثية على أيدي شعوب البحر التي اجتاحت كامل الساحل السوري آنذاك . للمزيد :

Cline and O`Connor, op. cit., p.138.

- **أوجاريت** : تقع بقاياها اليوم في تل "رأس شمرة" المكون من تجمع بقايا آثارية على بعد قليل من البحر المتوسط ، وعلى بعد حوالي (10) كلم من مدينة اللاذقية السورية ، في خليج عُرف باسم "مينا البيضا" الذي يوصف بأنه أول ميناء دولي في التاريخ.

وكانت "أوجاريت" تمثل أهمية كبيرة باعتبارها مركزاً تجارياً كبيراً، ولأنها تمثل نقطة التقاء بين العراق القديم وفلسطين ومصر، إلى جانب قربها من "قبرص" الغنية بالنحاس، كما أنها لعبت دوراً مهماً في التجارة مع "آسيا الصغرى" ، كل هذه الميزات جعلت منها المركز الحضاري الأكثر أهمية في سورية في الألف الثاني قبل الميلاد.

ويرى البعض أن تسمية "أوجاريت" تعني "الحقل"، وأنها مستعارة من السومرية، إلا أن أصل الكلمة في السومرية لا علاقة لها بكلمة الحقل، لذلك يرجح رأي آخر يقول إن مفردة "حقل" في الأكادية هي الأقرب نطقاً للعربية، في حين أن كلمة "أوجار" تعني في الأكدية "الجدار" أو "السياج"كما تعني "الأرض الخضراء" وبالتالي فأن الأقرب للصواب هو أن التسمية تعني "القلعة المحاكة بجدار"، وهو وصف يتطابق مع نمط هذه المدينة التي كانت مساحاتها الخضراء ومبانيها وقصورها الجميلة محاطة بمنشآت دفاعية . للمزيد :

هديب حياوي غزالة،مرجع ساق، ص986

(18) سليم حسن، ج7، مرجع سابق،ص10.

(19) Medinet Habu, By J. H. Breasted,Th. G. Allen. Chicago, 1930. Vol. 1;1932. Vol. 11.

(20) Killebrew, A.E., The Philistines and Other " Sea Peoples " in Text and Archaeology, Society of Biblical Literature Archaeology and Biblical Studies, V 15, 2013, p. 656.

(21) Kitchen, K.A., Ramesside Inscriptions Historical and Biographical, V, Oxford, 1983,

(22) Moran, W., Op. Cit., EA 151, pp. 238-39.

المراجع العربية :

1. جيمس بريستد، سجلات تاريخية من مصر القديمة، م4، الأسرات من 26-20، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، ط1، 2009.

2. سليمان حامد الحويلي، "شعوب البحر في المصادر النصية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب،العدد 16.

3. سليم حسن، موسوعة مصر القديمة،ج7،منشورات مكتبة الأسرة،القاهرة،2000،ص84.،أسامة حسن، مصر الفرعونية، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة،1998.

4. مصطفى كمال عبد العليم، تاريخ ليبيا القديم،منشورات المطبعة الأهلية، بنغازي،1966..

5. مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، السنة الجامعية 2009 - 2010، الجزائر،جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ.

6. هديب حياوي غزالة ،"أوغاريت مركز تجارة العالم القديم،مجلة جامعة بابل،العلوم الإنسانية،المجلد18،العدد 4 ،2010.

المراجع الأجنبية :

1- Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt: The Ninteenth Dynasty, vol. 3, Chicago: Univ. of Illinois Press, 1906, 2001.

2- Barnett,R.D.,'The Sea Proles',in The Cambridge,Ancient History,Vol.11,Part2,1975.

3- Cline, E.H., " The Mystery of The Sea Peoples ", in Mysterious Lands, ēds., D.O`Connor and S. Quirke, London: UCL Press, 2003.

4- Killebrew, A.E., The Philistines and Other " Sea Peoples " in Text and Archaeology, Kitchen, K.A., Ramesside Inscriptions Historical and Biographical, V, Oxford, 1983.

5- Manassa, C., The Great Karnak Inscriptions of Merneptah: Grand Strategy in the 13th Century BC., New Haven, 2003.

6- Medinet Habu, By J. H. Breasted,Th. G. Allen. Chicago, 1930. Vol. 1;1932. Vol. 11.

7- Moran,W.,The Amarna Letters,Maryland,Johns Hopkins,Unvi.press,1992,EA81.

8- Nelson, H.H., " The Naval Battle Pictured at Medinet Habu ", JNES, 2, 1943.

9- Society of Biblical Literature Archaeology and Biblical Studies, V 15, 2013.

10- Sandars, N.K., The Sea Peopls: The Warrriors of The Ancient Mediterranean 1250-1150 BC., London, 1987.

12- Yoyott,J.,'Les Steles de Ramses,ii,a,Tanis,Premiere partie,Kemi,10,1949.